

## « زخارف عربية »

فيلم تسجيلى فى عشرين دقيقة  
(ناطق باللغات العربية والانجليزية والفرنسية)

اخراج : عبد القادر التلمسانى

تصوير : حسن التلمسانى

مونتاج : عبد العزيز فخرى

سيناريو : حسن سليمان

تعليق : صلاح حافظ

موسيقى : سليمان جميل

مهندس الصوت : كمال عبد الله

انتاج سنة ١٩٧٤

الموضوع :

عن فنون الزخرفة العربية فى العمارة الإسلامية والمآذن والقباب وأعمال الخشب والرخام والصدف والزجاج المعشق .. فى الآثار الإسلامية والقصور الأثرية .

وقد نال هذا الفيلم الجائزة الأولى فى التعليق .. فى مهرجان الافلام التسجيلية والقصيرة الذى نظمته وزارة الثقافة عام ١٩٧٥ .

التعليق :

• المساجد إطار صنّع من فن رفيع لعقيدة تقود الإنسان إلى رحاب النور.. إنها همزة الوصل التى ترد الإنسان — عبر الفن — إلى عالم المطلق .. تلاشى الجزء فى الكل .. راحة للنفس ترتبط فيها قيم الفن الرفيع بمعنى العقيدة والإيمان .. إنها أماكن تعرج إليها النفوس الحائرة كلما ضلت أو أنهكتها الحياة .

● رعلى جدران المساجد صمت وهمس .. صمت حجارة الجدران المتراسة فى مساحات خالية من زخرفة أو كتابة .. أما الهمس فهو همس الفن الرفيع .. همس الذين أرادوا التعبير لمن يأتون بعدهم .. فن أحسن استخدامه . فأكد معنى كبيراً وحسا للصمت والسكون .. انها ذئدنة هادئة زادت من غنى الفراغات والجدران الصماء من حولها .

● والزخارف الإسلامية فى علاقتها بالجدران المعمارية تكون فناً خالداً أصيلاً دائماً يفيض .. مهما أطلنا إليه النظر .. كل ساعة له رؤية جديدة .. أنه فن ترصيع السكون والفراغ واللانهائية .

● تستقبلك من المساجد مداخل تعزلك عن الطريق الصاحب الذى أتيت منه بكل ما فيه من تراحم على العاديات ومشاكل الحياة اليومية .. تنعطف بك فى ممرات ذات اليسار وذات اليمين .. أنها عملية نفسية .. تحضير للنفس .. تمهيد قبل أن يستقبلك ثانية النور .. نور الشمس .. لكنه نور الصفاء .. نور العقيدة .. نور الفن .. وكان الممرات وظيفتها التمهيد لهذا النور .. تحضير المتعبد كى يتواجد فى خشوع ورهبة .. انها عزل ضوءين عن بعضهما .

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوْا وُجُوْهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

« صدق الله العظيم » .

إن هدف تجويف القبلة هو هدف معمارى .. ولكن له وظيفة أخرى .. فالجدار المسطح يشتم صوت الإمام فى الصلوات التى يجهر فيها بصوته . وهى الفجر والمغرب والعشاء وصلاة الجمعة .. ووجود التجويف أمام الإمام يجمع الصوت ثم يرحمه دويماً وصدى يترد إلى مسامع المصلين يبتدون به لتتبع الامام .

● للتقديس والمشكاة فى المسجد وسيلة للإضاءة تبعث على الروع والخشوع وترمز لمعنى كبير .. وقد حفل القرآن الكريم بالآيات التى ترتبط بالظلمة والنور :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِءِ كَمِشْكُوْفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾

« صدق الله العظيم » .

يتضاءل الإنسان من ظلمة المسجد أو مواجهها للضوء فيه .. ويتضاءل الإنسان مع هذه الاشتقاقات والتنويعات الزخرفية الهندسية رغم دقة حجمها .

ومع أصابع الفنان نخشع للقدرة الخلاقة التي وهبها الله سبحانه وتعالى وديعة يتوارثها الإنسان جيلاً بعد جيل .

● من أشهر مميزات الزخرفة في الفن الإسلامي ما يسمى بالمقرنص .. جزئيات تتحامل على بعضها لتحمل عقداً أو عتباً أو أركاناً قبلية .. هو في معناه البسيط دعامة مركبة في اشتقاقات هندسية قد تكون بسيطة أو معقدة . وهذا يتوقف على شكل الجزء .. لكن المقرنص قد نجده في بعض الأحيان لا يؤدي وظيفته كدعامة .. وإنما استخدم كنوع من الزخرفة كما في المآذن .

● الزخرفة التي في أعلى العقود يظهرها الضوء منعكساً ومرتداً من الأرض المضيئة بنور الشمس وهذه الزخارف النباتية منفصلة كلية عن مثيلاتها من زخارف القرون الوسطى .. فقد استمدت قوانينها من إيقاع الخط العربي لأنها متممة له .

● ومن مميزات الزخرفة الإسلامية الاشتقاقات الهندسية التي ترجع إلى نزعة صوفية تجريدية رياضية تذهب أخيراً إلى المطلق وتعتمد على علاقة وميلاد الجزء من الكل .. والكل من الجزء .. وتسمى بنزعة الحلولية .. فلا غرابة أن نرى الزخرفة الإسلامية تعتمد على اشتقاقات تتوالد من بؤرة أو مركز أو مصدر يتوالد إلى ما لا نهاية .

● هكذا تبدو المراثيات من الداخل .. مصفاة للضوء حتى لا يقتحم المكان في حدة .. وكأنك تراه من خلال أفرع وريقات الشجر .. لكنه ينساب وفق نظام بديع وصارم لفن رفيع .

● حتى الأرضيات .. يرتبط بها وقع الأقدام مع إيقاع الخطوط والمساحات .. كل شيء منغم .. وكل شيء موشى وكأنه لحن يتردد .. فخفض الوطاء على المنمنمات .. فهي تفيض بالذكريات .

● وإذا ارتفع البصر إلى السقف .. فهناك زخارف تظللك وتأخذك في سباحة من اشتقاقات موسيقية لا آخر لها .. تحدها وحدة متكاملة .. الوحدة المتكاملة للمكان .

هكذا كانت تبدو بيوتنا ومساجدنا من قديم .. الضوء يدخلها كل صباح وتنحسر عنها الظلال .. أنه الضوء يتحدى الظلمة .. وهو الذي حدد مفهوم عقائدنا ومفهوم فنوننا .

● الضوء يصارع كي ينفذ إلى الظلام .. وحتى في المسجد الواحد تختلف النوافذ المصنوعة من الزجاج والجنس عن بعضها البعض في نقشها وزخرفتها .. إما لأن الأيدي التي صاغتها متعددة .. وكل واحدة منها لها مذاقها الخاص .. وشخصيتها .. أو لأن الفنان الإسلامي أراد أن يتفوق على نفسه ويثبت غناه الفني وتنوعه وتعدده رغم خضوعه لقانون هندسي واحد .. إنها صفة التجويد التي عرف بها الفنان الإسلامي على مر العصور .

● تسايح .. وابتالات .. مرتبطة ومنتظمة فوق بنيان صلب .. قُد من الحجر .. فتخفف من حدة الحجارة المصفوقة .. ولقد ظلت القباب مع المآذن سواء أكانت في مسجد أو في مدرسة أو ضريح .. رمزاً للفن الإسلامي عبر تاريخه حتى الآن .



من الفيلم التسجيلي: زخارف قبطية